تدريس العلوم السياسية في / حول أفريقيا: أين نحن؟

نظّمت الشبكة العربية للعلوم السياسية (APSN) في 15 مارس/ آذار 2022 ندوة عبر الإنترنت بعنوان: "تدريس العلوم السياسية في/ حول أفريقيا: أين نحن؟" وذلك بالتعاون مع الجمعية الأفريقية للعلوم السياسية (AAPS).[1] جمعت هذه الندوة أربعة أساتذة في مجال العلوم السياسية لمشاركة وجهات نظرهم وخبراتهم. أدار النقاش الدكتور باسل صلوخ من معهد الدوحة، وشارك فيه كل من: الدكتورة رانيا حسين خفاجة من جامعة القاهرة، والدكتورة زينب البرنوصي من جامعة نيويورك- أبو ظبي، والدكتور كريستوفر إيزيك من جامعة بريتوريا.

في ظلّ مناخ سياسي واقتصادي واجتماعي متنوع، ومواجهٍ لتحديات عدة في جميع أنحاء القارة الأفريقية، تأتي هذه المناقشة كفرصة لإعادة النظر في إسهام العلوم السياسية في فهم التغييرات الطارئة، وما يمكن أن تقدمه من فرص وموضوعات بحثية جديدة. طرحت الندوة موضوع تناول أفريقيا في نقاشات العلوم السياسية على الصعيدين العالمي والقارّي. وبالاستناد إلى خبرات المتحدثين المتنوّعة، جرى تسليط الضوء على مختلف الاهتمامات والأولويات والتحديات التي تواجه البحث والتدريس في حقل العلوم السياسية في أفريقيا. كما تناولت المناقشة أيضًا الجدل المتزايد حول فكرة إنهاء النظرة الاستعمارية (الدراسات ما بعد الكولونيالية) في العلوم الاجتماعية والسياسية، وما يلزم من الباحثات والباحثين الأفارقة لإنتاج معرفة تتحدى النماذج النمطية السائدة، وتقدم أصواتًا ومقاربات جديدة لفهم أفريقيا وسياساتها.

ضمن سياق استكشاف التحديات البيداغوجية (التربوية التعليمية) التي تواجه تدريس العلوم السياسية، شاركت زينب البرنوصي تجربتها في التدريس والبحث في مجال العلاقات الدولية والاقتصاد السياسي في المغرب. فتناولت التحديات مثل التنقل بين اللغات، والحواجز الثقافية المختلفة، والصعوبات التي تكتنف الحصول على المعلومات الموثقة، إلى جانب العمل على تقديم الدعم والتحفيز للطلاب الذين يواجهون صعوبات مماثلة. وأشارت البرنوصي إلى التوجه المتزايد نحو برامج الدراسات الدولية، وأهمية تبني عقلية أكثر عالمية (وأشمل) تكون فاعلة في مجال العلاقات الدولية. وفي هذا الصدد، أكدت على ضرورة دعم المشاريع البحثية، والتواصل بين بلدان الجنوب العالمي لإضفاء اللامركزية على إنتاج المعرفة، وتعزيز التصورات المختلفة لعالم أكثر استدامه. واختتمت حديثها بالإشارة إلى الدور المتنامي والمؤثر للرقمنة في التدريس والبحث، ما يتطلب اكتساب مهارات جديدة لكل من الأساتذة والطلاب على حد سواء.

ركزت رانيا خفاجة في مداخلتها على ضرورة تنويع المناهج والمواد التعليمية، من خلال تضمين آراء ووجهات نظر لا تتسم بالمركزية الأوروبية. استنادًا إلى تجربتها الشخصية في برنامج الدراسات الأفريقية لأكثر من عقد من الزمن في جامعة القاهرة، سلطت خفاجة الضوء على مجموعة المقررات/ الدروس المقدمة في الجامعة، والتي تتيح للطلاب تعميق فهمهم للسياسات المحلية والدولية الأفريقية، وتتحدى وجهات النظر السطحية للقارة. ومع ذلك، أقرّت رانيا بوجود تحديات مثل زيادة عدد الأدبيات ذات الطابع المركزي الأوروبي، والتواجد المحدود لأعمال الأكاديميين الأفارقة من غير المصريين في قوائم الكتب والقراءات المقررة. كما ناقشت الحاجة إلى أساليب ومناهج تربوية تفاعلية ومتنوعة أكثر لجذب الطلاب وتحفيزهم. طرحت مداخلة رانيا إشكالية قدرة وإسهام الباحثين الأفارقة في وضع أجندة بحثية، إضافة إلى إشكالية أخرى هي هيمنة أساليب البحث النوعي على أساليب البحث الكمية، وعزت الأمر إلى نوع التدريب البحثي السائد في المنطقة، ومحدودية المعرفة في أساليب البحث الكمية. وبالتالي، ربطت هذه الموضوعات بالمناقشة الأوسع حول إنهاء الاستعمار الأكاديمي، مسلطة الضوء على الاختلافات والتشابهات الإقليمية في كيفية تطور هذا الخطاب عبر القارة. واختتمت بتأكيد أهمية دفع النقاش بين مختلف الأطراف المعنية من الأكاديميين والباحثين لاتخاذ خطوات ملموسة نحو تطوير وجهات النظر الأفريقية المحلية.

ناقش كريستوفر إيزيك افتقار التعليم الجامعي في مرحلة ما بعد الاستعمار إلى الابستمولوجيا (نظرية المعرفة) ذات الطابع الأفريقي، وهو ما يمثل -بنظره- انعكاسًا للإرث التعليمي الاستعماري، وفشلاً في تضمين المعرفة المحلية والممارسات الثقافية الخاصة بشعوب المنطقة. وهذا يؤدي إلى إعادة ترسيخ النظم السائدة ذات المركزية الأوروبية بصفتها المقياس

[1] تعبّر وجهات النظر الواردة في هذا النص عن آراء المشاركين في الندوة، ولا تمثل بالضرورة وجهات نظر الشبكة العربية للعلوم السياسية. *يمكن مشاهدة تسجيل الندوة عبر هذا الرابط.*

والنموذج المثالي للتنمية المجتمعية، ويعيق انخراط أفريقيا في الشؤون الدولية. وشدد إيزيك على ضرورة تغيير أنظمة الإنتاج المعرفي، وناقش أهمية تدريس العلوم السياسية في الجامعات الأفريقية، والتي غالبًا ما تفشل في معالجة واقع السياسة المحلية والتحديات التي تواجهها دول وشعوب القارة بصفة عامة. كما اقترح خطوات عملية لتحرير العلوم السياسية من التأثير الاستعماري، بما في ذلك استجواب جذور التشكيل الاستعماري للدولة، والانخراط في مجال البحث والتدريس، والتركيز في جعل محتوى المساقات الدراسية أكثر صلة بالاحتياجات السياسية الأفريقية. وأكد على أهمية إنهاء استعمار الدولة الأفريقية كشرط أساس لتحقيق تحول فاعل في الجامعات، وجادل بأن مناهج العلوم السياسية يجب أن تأخذ طابعًا أفريقيًا (أفرقة العلوم السياسية)، وترقى إلى مستوى رقمنة مناهج العلوم السياسية لتحدي الهيمنة المعرفية الغربية. وختم مداخلته بتسليط الضوء على الدور الحاسم لبيئة الدولة المواتية في تعزيز التنوع المعرفي في الجامعات الأفريقية.

قدمت هذه المناقشة رؤى قيمة حول المناهج التربوية (البيداغوجية)، والمواضيع البحثية، وجهود إنهاء الاستعمار داخل هذا التخصص. وتركزت تصورات وملاحظات المتحدثين على التحديات المختلفة والفرص المحتملة في التدريس والبحث في مجال العلوم السياسية في أفريقيا. كما جاءت إسهاماتهم مؤكدة على ضرورة تبني وجهات نظر متنوعة، وسد الفجوة بين مناهج البحث الكمية والنوعية، وإجراء تحليل نقدي لخطاب إنهاء الاستعمار، إضافة إلى دمج المناهج متعددة التخصصات. وبناءً على هذه الأفكار مجتمعة، يمكن لتخصص العلوم السياسية في أفريقيا أن يستمر في التطور وتقديم فهم أكثر شمولاً للسياسة والمجتمع الأفريقي.